**ما الذي يميَز الأدب؟**

**ما تعريف الأدب؟**

الذي يميَز الأدب **اللَفظ أم المعنى**؟، **الفكرة أم أسلوب العرض**؟ أم أنَ الأدب هو **محاكاة فنَية لفظيَة**، فإذا كان كذلك فهل هو محاكاة للظَواهر الحسَية أم للانطباعات الذَهنيَة أم لكليهما؟.

فهناك من يردَد أنَ الأدب مرآة، ويتردَد مصطلح المرآة منذ أفلاطون حتى يومنا، فإذا كان كذلك فهل هو مرآة للأشياء أم لعقل الأديب، أم مرآة للبيئة والمجتمع؟، ثمَ هل هي مرآة مستوية أو محدَبة أو مقعَرة؟.

وهناك من يعرّف الأدب من خلال **الأداة**، فالأدب **فن لغوي أو لغة الخيال**، أو **جسد لغوي**، أو **مجموعة من الجمل**. وهناك من يرى الأدب **شكل جمالي خالص** لا علاقة له بالخارج، وعلى عكس هؤلاء هناك من يرى أنَ الأدب تعبير بالكلمة عن موقف الأديب من العالم، أو أنَه **صياغة لغويَة لتجربة إنسانية عميقة...**

هذه الأسئلة تعكس مدى **الخلافات النَاتجة** عن محاولة **الإجابة** عن سؤال **ما الأدب**؟ هل الأدب لعبٌ أم عمل؟ هل هو صنعة أم تخيَل، إبداع أم خلق

وهل وظيفة الأدب بعد ذلك إفساد الأخلاق، أم تطهير العواطف، أم إثارة للعواطف وتمكين القرَاء من التَعبير عن انفعالاتهم، أم أنَه للمتعة الخالصة والإحساس بالجمال الخالص؟ أم هو وسيلة للفرار من الواقع إلى عالم التَخييل (الشَعريَة) أم على العكس تكمن مهمَته في دفعنا للالتصاق بالواقع في سبيل تجاوزه لبناء عالم أفضل؟.

لعلّ كل هذه الأسئلة حول **مفهوم الأدب ووظيفته** الَتي تَعتَرِضُ سبيل **الدَارس** تتمحور حول قضايا ثلاث هي: **نشأة الأدب** (مصدره) **وطبيعة الأدب** (ماهيته) **ووظيفة الأدب** (مهمّته)، وللبحث في هذه القضايا يتطلّب الأمر الاستناد إلى **نظرية المعرفة** أو فلسفة محدَدة متكاملة حتى **يوفَر الباحث** لآرائه درجة من **القوَة والاتَساق والعمق.**

وإذا ما وفّر الباحث لعمله كل هذا وجد نفسَهُ في ميدان مختلف عن ميداني تاريخ الأدب والنَقد الأدبي وهو ميدان نظرية الأدب.

**فنظرية الأدب**: هي **مجموعة من الأفكار والآراء القويَة المتَسقة والعميقة والمترابطة**، والمستندة إلى نظرية في المعرفة أو فلسفة محدَدة (**ليست ذاتية)**، والتي تهتمَ **بالبحث في نشأة الأدب وطبيعته ووظيفته**، حيث تدرس الظَاهرة الأدبية بعامَة من حيث نشأتها وطبيعتها ووظيفتها في سبيل **استنباط وتأصيل مفاهيم** عامَة تبيَن **حقيقة الأدب وآثاره**.

تمثَل نظرية الأدب مجموعة من المعايير والمبادئ النَظرية البحتة، قد تكون مستمدَة من النَظريات الفلسفية، تقوم بوضع المفاهيم العامَة للظَاهرة الأدبية، فيأتي النَاقد ليستمدَ مفاهيمه ومنهجه من نظريَة الأدب، وبتعبير آخر هي الدَراسة المنهجيَة لطبيعة الأدب وطرق تحليل الأدب و تختلف هذه الدَراسة فهناك الدَراسة التي تقوم على الجدليَة الماديَة والإنعكاس بين الأدب والواقع، أو ما يدعى بالواقعيَة الاشتراكية، أو نظرية التَحليل النَفسي في الأدب، أو نظرية الفنَ للفنَ، أو الشَكلية، أو نظريَة القراءة، أو نظريَة النَص (تودوروف، رولان بارث...)، هذه النَظريات مستمدَة من مفاهيم وفلسفات مختلفة.

**العلاقة بين نظرية الأدب والنَقد الأدبي والتَاريخ الأدبي:**

لا شكَ بأنَ ا**لأديب** **والعمل الأدبي** و**القرَاء** أركان أساسية لوجود الأدب، أذا انتفى ركن من هذه الأركان، انتفى وجود الأدب، ووجود هذه **الأركان الثَلاثة** يدلَ على أنَ **مهام نظرية الأدب** تتداخل مع **مهام النَقد الأدبي وتاريخ الأدب**، فالنَاقد لابدّ له من الاستناد إلى نظرية في الأدب قبل تعامُلِه المباشر مع النَصوص الأدبية، كما أنَ المؤرَخ الأدبي لابدَ له من مفاهيم عامَه للتَمييز بين الأعمال الأدبية...

وعن العلاقة بين هذه **المفاهيم الثَلاث**، يقول "رونيه ويليك" أنَها تقوم على التَعاون «إنَها تستلزم بعضها بعضا بشكل يبلغ من شمولِهِ أنَنا لا نستطيع تصوَر النَظريَة الأدبيَة بدون نقد أو تاريخ، أو النَقد بدون نظريَة أو تاريخ، أو التَاريخ بدون نظريَة أو نقد»، إذ هناك علاقة بين النَظرية والممارسة، **فنظرية الأدب** هي التي **تضع القوانين العامَة للظَاهرة الأدبيَة**، ثمَ يأتي دور **النَاقد** ليستمدَ منهجه و مفاهيمه من نظرية الأدب، ونظرية الأدب ليست مستمدَة من فراغ بل اعتمدت هي كذلك على مجموعة من النَصوص الأدبيَة والنَقدية قديما وحديثا، واعتمادا كذلك على التَاريخ الأدبي لأنَ المؤرَخ الأدبي له دور في تصنيف الموضوعات الأدبية أو النَصوص، هذا ما نجده مثلا عند **ابن سلاَم الجمحي** في النَقد العربي القديم في كتابه «طبقات فحول الشَعراء»، حيث صنَف الشَعراء حسب الفترات الزَمنيَة: شعراء الجاهليَة، الشَعراء المخضرمين، وشعراء صدر الإسلام، معتمدا في ذلك لعلى مبدأ الزَمان والمكان.

هذه المفاهيم الثَلاثة في تعاملها مع النَصوص الأدبية لكل واحد منهم طريقة خاصَة يحددها الهدف المتميَز لكل منهم:

أ- **المؤرَخ الأدبي**: يتعامل مع النَص ليبيّن الظَروف والملابسات التي أحاطت به وبصاحبه.

ب- **النَاقد الأدبي:** يتعامل مع النَص ليبيّن **مواطن الجودة والرَداءة** وأسبابها، أو ليبين مدى **انفعاله به**، أو ليصدر لنا حكما أو **تقويما له**.

ج- **المنظَر الأدبي**: يهتمَ بجملة من النَصوص، لا لِيُصْدِرَ حكما، وإنّما لكي **يستنبط مبادئ عامَة شاملة** تبيَن **حقيقة الأدب وأثره كظاهرة** عامَة أيضا.

**بماذا تهتم نظرية الأدب؟**

تهتمّ بقضايا كثيرة من بينها: المحاكاة، الإبداع،الطبع والصنعة (الموهبة والتقليد)، العلاقة بين الأدب والواقع، علاقة الشاعر بالقوى الاجتماعية المحيطة به، علاقة النص بكاتبه من جهة وقارئه من جهة أخرى، ومفاهيم الخيال والتخيّل والتخييل، وعلاقة الأدب بالغايات الجمالية الأخلاقية ووظيفة النقد، والعلاقة بين الشكل والمضمون والدلالة، والسرقات الأدبية (التناص).